الخطاب الشعري الثوري في أفريقيات الفيتوري

مجاهد عثمان خليل عثمان
طالب دكتوراه - وأستاذ في جامعة كسلا كلية التربية

عــز الــدين علــي مختار
أستاذ مشارك - جامعة النيلين كلية الآداب

المستخلص:

تهدف دراسة الخطاب الشعري الثوري في أفريقيات الفيتوري إلى البحث في مفهوم الخطاب الأدبي لاسيما الخطاب الشعري الثوري عند الفيتوري والوقوف عند خصائصه الأسلوبية وأنواعه المختلفة وتأتي أهمية الدراسة في أنها تخرج من دائر الدراسة التقليدية للشعر الغنائي مثل الغزل والمدح لدائرة جديدة خصبة هي الشعري الثوري ، كما اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وخلصت إلى أن الشعر الثوري للفيتوري كان هدفه رفع الوعي المجتمعي للشعوب الأفريقية لمناهضة الاستبداد والاستعمار وكافة أنواع الظلم .

الكلمات المفتاحية: الخطاب الثوري، الشاعر الفيتوري، الشعر ذو البعد الأفريقي.

The revolutionary discourse in Al-Fitouri's poetry with an African dimension

Mr. Mujahid Othman Khalil Othman - PhD student - and professor at Kassala University, Faculty of Education

A. Ezz El-Din Ali Mukhtar - Associate Professor - Al-Nilein University, College of Arts

Abstract:

The study of revolutionary poetic discourse in Al-Fitouri's poetry with an African dimension aims to research the concept of literary discourse, especially Al-Fitouri's revolutionary poetic discourse, and to identify its stylistic characteristics and different types. The importance of the study lies in the fact that it departs from the traditional study of lyric poetry, such as ghazal and praise, to a new, fertile circle, which is revolutionary poetry. The study uses the descriptive method of analysis. The study concluded that Al-Fitouri's revolutionary poetry aims to raise the societal awareness of the African people to oppose tyranny, colonialism, and all kinds of injustice.

Keywords: revolutionary discourse, the Fituri poet, poetry with an African dimension.

مقدمة :

يعد الشاعر الراحل الفيتوري صاحب أول صوت شعري انطلق في عالمنا المعاصر مدافعا عن قضية الإنسان الأفريقي وثورته ضد الاستعمار والاستغلال والرجعية السوداء كما لفت ديوانه الأول الذي صدر عام 1955مـ اهتمام النقاد والدارسين العرب وقد حُظي بالاهتمام نفسه في دوائر الثقافة والنقد والترجمة خارج الوطن العربي. ويعد الفيتوري من أهم شعراء مرحلة الحداثة والخروج من الحقبة التقليدية العمودية مع تجديد في الموضوعات والقضايا ورغم تميّزه الإبداعي والفني فهو الأكثر إثارة للجدل على المستويين الشخصي والإنساني وقد صدق الشاعر اللبناني محمد علي شمس الدين في وصفه للشاعر الفيتوري حيث كتب :» وكان أبرز ما يطبع شخصه إنه إنسان شموس بمعنى أنه كان مستفز بل حاضر للاستفزاز واغلب الظن أنه ينطوي على روح معذبة وكبرياء مجروح» عليه أردنا دراسة جانب من شعر الفيتوري في هذه الورقة التي عنوانها: (الخطاب الشعري الثوري في أفريقيات الفيتوري – دراسة وصفية تحليلية)

أهداف البحث:

1/ البحث في مصطلح «الخطاب» في النقد الأدبي وتوضيح علاقته بالنص.

2/الوقوف عند خصائص الخطاب الشعري الثوري عند الفيتوري .

3/ دراسة أشكال ومظاهر الخطاب الثوري بأنماطه المختلفة في أفريقيات الفيتوري.

أهمية الموضوع:

1. يدرس مدونة شعرية لأهم شاعر من شعراء الحداثة شاعر يعتبر خليط من ثقافات وأثنيات انعكست في نتاجه الشعري .
2. يتناول البحث موضوع الشعر الثوري عند الفيتوري بما فيه من مزايا وخصائص والخروج من دائرة الدراسة المكررة للشعر المتمثلة في الشعر الغنائي إلى دائرة جديدة خصبة هي الشعر الثوري.

حدود البحث:

تنحصر هذه الدراسة في البحث في أشكال الخطاب الشعري الثوري في أفريقيات الفيتوري ولا تتعداها إلى دراسة بقية الجوانب كالموضوعات العاطفية و الاجتماعية والوصفية.

مفهوم الخطاب وعلاقته بالنص:

ورد لفظ الخطاب في المعاجم العربية فهو عند ابن منظور في لسان العرب: الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان «[1]وذات المعنى بإضافة طفيفة نجده في «أساس البلاغة» عند الزمخشري حين قال: « خطب خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام وخطب الخطيب خطبة حسنة وخطب الخاطب خطبة جميلة»[2]وقد وردت كلمة الخطاب في كتاب الله عز وجل ففي سورة الفرقان الآية 63 قال تعالى:» وعباد الرحمن الذين يمشون في الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهل قالوا سلاما، حيث ارتباط مصطلح الخطاب في السورة بالمحادثة أو بالحديث الحواري فالدلالة في بنيتها اللغوية تبين حديث الحوارية المكون من خطاب ورد عليه كما ورد معنى الخطاب عند المتأخرين من علماء الكلام فنجد الكفوي (ت 1094هـ) عرفه بأنه : ا»للفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه

احترز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة وبالمتواضع عليه عن الألفاظ المهملة وبالمقصود به الإفهام عن كلام لم يقصد إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا وبقوله: لمن هو متهيئ لفهمه عن الكلام لمن لا يفهمه كالنائم» [3] كما جاء في معجم المصطلحات العربية الخطاب (الرسالة letier) نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهما ثم انتقل مفهوم الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية سواء أكُتِب نظماً أو نثراً... « [4] أما في المعاجم الأجنبية فإن الخطاب « مصطلح ألسني حديث يعني في الفرنسية Discourse وفي الانجليزية Discourse وتعني حديث ــ محاضرة ــ خاطب ــ حادث ــ حاضر ألقى محاضرة تحدث إلى « [5].

مفهوم الخطاب اصطلاحا:

من مفاهيم الخطاب ذات البعد اللغوي والأسلوبي أنه حدث لغوي يرسله متكلم محدد نحو مخاطب محدد بقصد إفادة معلومات محددة في مقام محدد وباستعمال وسيلة تبليغية محددة والانطلاق من ظروف وأوضاع مشتركة بينهما» [6]فالخطاب عند إميل بنفنست» هو كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما» [7]وأيضا ورد أن الخطاب هو الملفوظ منظوراً إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل وبمعنى آخر هو كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا.. « [8] وأحيانا يعني الميدان العام لمجموعة المنطوقات وأحيانا أخرى مجموعة متميّزة من المنطوقات وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليه» [9]: ومن المفاهيم الاصطلاحية التي تعتبر أكثر وضوحا هي مفاهيم النقاد العرب المحدثين **فنور الدين السد** : يعرف الخطاب بأنه:» نظام إشاري يتكون من عناصر كبرى وعناصر صغرى تتحول هي ذاتها إلى أنظمة فرعية حسب مستوياتها في التشكيل وإشاري، لدلالته على غيره وهذا الإدلال سواء أكان على مفاهيم أو على مراجع هو ممكن الانعكاس الصراعي في العملية الأدبية « =

في حين يرى **نايف خرما** الخطاب هو الكلام المتصل الذي يشمل أجزاء من جمل أو عدة جمل معاً « (11) هذا التعريف يبدو إنه ينظر إلى الخطاب كمتتالية جملية متجاوزاً سمات الخطاب الأخرى ومن ثم قد يقال إن الخطاب جملة كبيرة وإن الجملة خطاب قصير».والمفهوم الوارد للخطاب عند **محمد عابد الجابري** يركز على الخطاب الوظيفي يقول: بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر وهذه الوجهة من النظر مصوغة في بناء استدلالي أي بشكل مقدمات ونتائج» (12) لأن تعلق الخطاب بالاستدلال وخلوه من الأحاسيس والمشاعر يكون خطاب نفعي وظيفي وفي الخطيئة والتكفير **لعبد الله الغذامي** « الخطاب هو ما يختاره المتحدث من ذلك المخزون ليعبر عن فكرته أو رسالته» (13)إي الكلام في حال تحوله من حمل الفكرة التي تخللها من التوسط إلى التلبس والخطاب هو المجموع والنص وأحد فالنص مسمى بالخطاب اسم والخطاب ظاهرة النص» [14]

إذن الخطاب عبارة عما نعبر عنه بلغة القول أو الفعل بصورة مباشرة أو غير مباشرة أو هو نظام الفعل الذي نعقل به الأشياء والحميري يجعل من الخطاب مفهوما يوافق نظرية الجرجاني المشهورة بنظرية النظم ويمكن وصفه (استراتيجية التلفظ) أو بوصفه نظاما مركبا من عدد من الأنظمة التوجيهية والتركيبية والدلالية التي تتوارى وتتقاطع فيما بينها جزئياً أو كلياً «[15]

الفرق بين الخطاب والنص:

اللغويون يعرفون النص بأنه : الرفع ومن ثم قالوا نص القول أي رفعه وأسنده لصاحبه وهذا ما أشار إليه طرفة بن العبد يقول من(المتقارب):

فنص الحديث إلى أهله *** إن الوثيقة في نصه «[16]

ويعرفه بارت بأنه: نسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا»[17] بمعنى إنه يكون نظاما لا يجوز تطابقه مع النظام اللساني ولكن أن نضعه في علاقة معه إنها علاقة تجاوز وتشابه في الوقت نفسه»[18] والنص عند عبد الواسع الحميري عبارة عن ما ينصص نظام الخطاب أو هو عبارة عمّا نقول أو نفعل إنه نتاج الإنجاز للقول أو الفعل ما يعني إنه بمثابة إنجاز لذلك البرنامج التواصلي أو لنظام القول أو الفعل»[19]

يتضح إن بين الخطاب والنص علاقة قوية جدا فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة«[20] فالخطاب تارة يوظف بمعنى النص وتارة بمعنى الكلام وطورا بمعنى الفكرة يقول قريماس : إن كلمة (نص) غالبا ما تأتي مرادفة لكلمة خطاب خاصة في اللغات الطبيعية التي لا تملك مقابلات لكلمة خطاب «[21]

من النقاد من لا يفرق بين الخطاب والنص فهما شيء واحد نرى مثلا نجد عابد الجابري يقول: النص رسالة من الكاتب للقارئ فهو خطاب فالاتصال بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص تماما مثلما إن الاتصال بين المتكلم والسامع إنما يتم عبر الكلام...»[22]

كذلك محمد مفتاح لا يفرق بين الخطاب والنص وعنده كلاهما وجهان لعملة واحدة ودلالة على شيء واحد هو العمل الأدبي وفي هذا الصدد قال أحمد مداس معلقا على فكرة مفتاح بأنه» جمع صريح بين النص والخطاب» [23]

في الجانب الثاني نجد من يفرق بين المصطلحين يقول :عبد الملك مرتاض حيث يرى أن النص هو كل كتاب على وجه الإطلاق في حين الخطاب تصنيف لنوع الكتابة وتخصيص فني داخلي في تجنيسها» [24] ومن العلماء من يفرّق بين المصطلحين وفق الكتابة والمشافهة ويقول إن الخطاب يفترض حضور سامع يتلقى هذا الخطاب لحظة إنتاجه بينما يتوجه النص إلى متلقي غائب عن طريق القراءة وهذا يعني إن الخطاب نشاط تواصلي يتأسس على اللغة المنطوقة أولاً بينما النص مدونة مكتوبة « [25]

إبراهيم أحمد شويحط في مقاله «فض الشراكة المفاهيمية» بعد أن درس الخطاب والنص والإتجاه الذي يرى إنهما شيء واحد يقول من خلال التناول العملي التطبيقي إن هناك فرقاً ملحوظا في التطبيق بينهما هو إن النص لا يكون إلا في التنظير والتعليم الذهني البعيد عن الاستعمال الواقعي للغة ومن ذلك يقول الأصوليون العبارات الآتية (لا اجتهاد مع نص بمعنى لا أجتهاد مع ما هو معروف وواضح من خلال دلالة المنطوقات المباشرة ، كذلك عبارة وارد بنص الآية وعبارة هذا فيه نص قطعي «[26]أذن كل نص هو خطاب وليس كل خطاب نص وذلك لاشتمال الخطاب على عنصر التواصل والمقامية.

أنواع الخطاب:

يرى ميشال فوكو «إن الخطاب بنية قائمة بذاتها ونظام مستقل والخطاب هو الفيصل بين حدود البنيات فكل وحدة بنيوية سواء كانت زمانية أم حضارية أم ثقافية ... تحتوي على وحدة خطابية أو تشكيل خطابي بتعبير فوكو» [27]وينقسم الخطاب لنوعين هما:

1/ الخطاب الوظيفي « النفعي»:

الخطاب الوظيفي « العلمي « بأنواعه المختلفة التي سوف نعرض لها يمتاز بجملة من الخصائص يتقدمها كونه خطاباً خالياً من الإيحاء والتراكم كما أنه موجّه من حيث الدلالة وغير قابل للاشتراك والترادف ويمتاز بأنه تركيبة غير مكررة ولا تعيد نفسها وتجنح للدقة في استعمال المصطلحات الخاص بالحقل العلمي الذي تقوص فيه ونجد إن الخطاب الوظيفي العلمي يعتمد المنطقية في عرض موضوعه - كما أن الخطاب العلمي (الوظيفي) يعتمد دلالة المطابقة كونها تجسد الدال والمدلول» (28) ومن الخطابات الوظيفية الخطاب الإعلامي والخطاب القانوني المؤسساتي.

2/الخطاب الأدبي « الإبداعي»:

يعد الناقد منذر عياشي هو أول من قسم الخطاب إلى نفعي وإبداعي (أدبي) فيقول إن الأول مباشر يقوم على الحياة اليومية أمّا الثاني فيكون القصد غاية تأليفه والاختيار من مجريات تركيبه وتشكيله» (29) أي يقوم بالقصد والاختيار أو بالانتقاء» والخطاب الأدبي هو نقيض الخطاب العلمي لأنه غير ثابت ولا يقدم حقيقة علمية دقيقة إنما يقدم حقيقة فنية تنبع من ذات ... « [30]

الخطاب الأدبي ينقسم من حيث الجنس الأدبي إلى خطاب روائي وخطاب شعري وهناك الخطاب المسرحي و تلتقي كل هذه الأجناس في الأدبية مع أنها كذلك تمتاز وتتفرد حسب جنسها الأدبي. والذي يعنينا في الورقة هو الخطاب الشعري.

الخطاب الشعري:

نعني بالشعر هنا المفهوم الاصطلاحي للشعر وهو قول موزون مقفى يدل على معنى»[31] لأن عبارة الشعري تلتبس مع مصطلح الشعرية وهي سمة يشترك فيها الشعر والنثر فالخطاب الشعري هو قسيم النثر وهما ركنا الأدب وكل منهما يتفرع حسب مضمونه وعناصره.

إن قضية الفرق بين الشعر والنثر قضية جوهرية وتمهيدية في الوقت نفسه ولنا أن نشير إلى إن ثمة يأس أصاب الكتاب في إيجاد الحدود الفاصلة بين منطقة الشعر ومنطقة النثر لاسيما بين القصيدة والرواية والقصص في الشعر نظرا لامتداد عناصرهما بعضها مع بعض وهذا ما أشار إليه حازم القرطاجني « إن صناعة الشعر تستعمل يسيرا من الأقوال الخطابية كما إن الخطابة تستعمل يسيرا من الأقوال الشعرية لتعتمد المحاكاة في هذا الإقناع ولإقناع في تلك المحاكاة» [32]

الخطاب الشعري في الأدب العربي هو خطاب غنائي وهناك من يطلق عليه الشعر الوجداني لأن له ارتباط وثيق بالموسيقى والإلقاء وبالتعبير عن العواطف والحب والحزن والفرح وغيرها من المشاعر الإنسانية المتنوعة وتواجد الشعر الغنائي لم يكن منحصراً في رقعة جغرافية محددة كما هو حال بعض الأنواع الأدبية؛ لأن أغلب الشعر العربي كان إنشاداً. وبجانب الشعر الغنائي عرف الخطاب الشعري الشعر المسرحي والقصصي والشعر الملحمي ونجد أنه قد شاع في القرن الماضي في الوطن العربي الشعر الثوري الذي تغنى به شعراء العصر الحديث بمختلف أشكاله ومظاهره وقضاياه. والخطاب الثوري ربما وجد له نموذج قديم منذ العصر الجاهلي مثل ثورة الشعراء الصعاليك الأدبية والمجتمعية وثورة الإسلام ضد سادة قريش ودينهم ، سوف نتعرف على الخطاب الثوري في العصر الحديث مفهوماً و أشكالاً ونموذجاً عند شاعر قدير هو محمد مفتاح الفيتوري .

ماهية الخطاب الثوري:

مفهوم الثورة لغة واصطلاحاً:

الروح الثورية ربما تعني الدعوة إلى التجديد ونقد الذات طمعا في الانتقال إلى حال أفضل وبهذا المعنى فالثورة حالة تلبس لا تتوقف وعلاقة جدلية حداثية تتسامي عن واقع لتنشد ما هو أفضل والدلالة المعجمية للثورة لعلها تفيد بعض هذا المفهوم فقد جاء في لسان العرب : ثار الشيء ثوراً و ثوراناً تثور هاج والثائر الغضبان يقال للغضبان أهيج ما يكون : قد ثار ثائره وفار وفائره إذا غضب وهاج غضبه وثار إليه ثوراً وثؤراً وثوراناً : وثب ويقال انتظر حتى تسكن الثورة وهي الهيج ثار الدخان والغبار وغيرهما ظهر وسطع وثار به الناس وثبوا عليه وفي الحديث فرأيت الماء يثور من بين أصابعه أي ينبع بقوة وشدة»[33] فالثورة هي الإطاحة بالنظام السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي السائد الذي يقوم على الاستغلال إنها تعني بناء نظام جديد يرفع إلى أعلى مستوى رخاء القسم الأعظم من الجماهير والذي ينتج أقصى قدر من حقوق الإنسان والحرية التي تستبدل أخلاق السادة الكنسية والدولية بأُخرى تقوم على الحرية والمساواة والتضامن«[34]والثورة عمل جماهيري رافض لكل سلبيات الواقع وهي رسالة قوية ذات مقصد تغييري لنظام كمم أفواه الناس وسلبهم حقوقهم كما إن الثورة تدل على تغييرات فجائية وجذرية تتم في الظروف الاجتماعية والسياسية أي عندها يتم تغيير حكم قائم وتغيير النظام الاجتماعي والقانوني المصاحب له بصورة فجائية وأحياناً بصورة عنيفة بحكم آخر» [35] وغالبا ما يقوم الشعب بالثورة من أجل إحداث تغيير شامل في المجتمع وإحلال تيارات سياسية وطنية محل التيارات التي فشلت في تحقيق آمال شعوبها...» (36) والمقصود بالثورة كمصطلح سياسي هو تحرّك شعبي واسع خارج البنية الدستورية القائمة أو خارج الشرعية» (37) فلما كان الشاعر من ضمن هذا الشعب وعضو مؤثر فيه ملتزم بقضاياه كانت ثورته حاضرة في نتاجه الأدبي والأدب الثوري هو الأدب الملتزم الذي يمثل مشاركة الشاعر أو الأديب للناس في همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم والوقوف بحزم لفعل كل ما يتطلبه ذلك مهما كلف الأمر»(38)والأدب اتصاله بالثورة وتعبيره عنها قديم فالأدب وثيق الصلة بالثورات بجميع فنونه من نثر وشعر فلم توجد ثورة إلا والأدب كان له قصب السبق فيها.

مفهوم الخطاب الثوري :

كان نتيجة لالتزام الأدب والأديب وجود الخطاب الثوري في نتاج الشعراء لاسيما في العصر الحديث بمختلف أقطار الوطن العربي ففي الجزائر نجد ثورة الشاعر مفدي ذكريا من أجل بلاد المليون شهيد وفي تونس تمرد الشاعر الشاب أبو القاسم الشّابي وفي مصر انتفض أمل دنقل وغيره حيث أنتجوا لنا شعراً ثورياً غزيراً كذلك كان للالتزام الأدبي تجاه القضية الفلسطينية دور مهم في تجلي هذا الخطاب وتطوره في الأدب العربي الحديث فلما شاع هذا الخطاب كتب عنه النقاد فنجد الناقد القدير طه حسين في كتابه «خصام ونقد» يتناول أدب الثورة وثورة الأدب فقد فاضل طه حسين بين الأدب المنتج أثناء الثورة والأدب الذي يأتي بعد الثورة بقوله: والذين ثاروا بالفعل وملأوا الدنيا هوّلاً وإصلاحاً في وقت واحد لم ينشئوا أدبا ذا خطر فقد شغلوا بالعمل عن الفن وشغلوا بصنع التاريخ عن كتابته وابتكروا للأدباء الذين جاءوا بعدهم موضوعات أنشئوا فيها أدباً حيا رائعاً أتيح البقاء لكثير منه وذهب بعضه مع ما يذهب من أثار الناس»(39)وثورة الأدب

أحيانا تمهد الطريق لثورة السياسة لأنها تهيئ قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم فتبغض لهم نظاماً قائماً وتحبب لهم نظاماً يحقق لهم آمالاً»[40]

فالخطاب الثوري هو الخطاب الاستشرافي الذي يطلب الحرية ويتحرك لأجلها ولأجل مستقبل مغاير من حيث السياسة والأخلاق والمساواة ، وهو خطابٌ يعلو فيه صوت التعظيم تارة وصوت التحقير تارة أخرى ، ويغلب فيه ضمير (الأنا / نا) الذي يكرس ويثبت الإرادة الفردية والجمعية للجمهور نجد هذا الخطاب يستخدم باعتبارها سلاحاً يواجه به من ظلم واستبد وتكبر، فالثورة في الأدب نتاج لشعور بظلم يحس به المجتمع والشاعر يترجم ذلك في نصوص يكون الحس الثوري فيها بيّن وواضح من حيث المعجم والدلالة والأسلوب النحوي والإنشائي إذن الخطاب الثوري الشعري وهو ما يعنينا في هذه الورقة ينقسم لنوعين:

1. ثورة الشعر: وهي الشعر الذي يدعو للثورة ويمهد لها ويغري بها ويلهب نارها ويسمع دويها ويدفعها إلى الأمام دفعاً ويخرجها من ظلام الظلم إلى ضياء الحق ويجعل منها واقعاً بعد أن كانت فكرة وحلماً» [41]
2. شعر الثورة: هو الشعر الذي يظهر بعد أن تستقر الأوضاع وتتضح الأمور وتختمر الأشياء والأفكار في الذاكرة وتنمو تلك البذرة الطيبة فإذا هي شجرة مباركة جذورها في الأرض وفروعها في السماء»[42]

فالخطاب الثوري بنوعيه أنفا الذكر يتجلى في أفريقيات الشاعر محمد الفيتوري فنجده تارة يدعو للثورة ويستنهض الهمم رافض للعبودية والاستعمار والعنصرية ضد السود وتارة ممجداً للثورة والأبطال مخلداً لذكر الثورة والثوار معدداً مآثرهم من هنا جاء الخطاب الثوري عند الفيتوري متعدد الأشكال والمظاهر وهذا ما سنتناوله في المبحث القادم بعد تقديم ترجمة وتعريف بالشاعر الفيتوري وأعماله الشعرية.

ترجمة الفيتوري:

ولد محمد مفتاح رجب الفيتوري في بلدة «الجنينة « عاصمة دار مساليت الواقعة على حدود السودان الغربية والمساليت من القبائل السودانية الكبيرة وتشتهر بالفروسية والده الشيخ مفتاح رجب الفيتوري وكان خليفة خلفاء الطريقة الشاذلية الأسمرية وهو من فرع أولاد الشيخ من الفواتير أحدى قبائل البدو الليبية المعروفة بالتقوى والصلاح والفواتير من الدراويش مشهورين بالكرامات والمعجزات [43].

والدته : الوالدة الجهمية سليلة أحد البيوتات البرقاوية(44) فهي الحاجة عزيزة علي سعيد من أسرة شريفة من قبيلة الجهمة العربية الحجازية التي هاجرت إلى صعيد مصر ومن ثم إلى ليبيا ومن رجال هذه القبيلة جد الشاعر الشريف علي سعيد كان تاجر رقيق وعاج وذهب وحرير وكانت له صلات بسلاطين افريقية والسودان والشريف علي سعيد تزوج في أحدى رحلاته جارية كانت أهديت إليه اسمها «زهرة» أنجبت أم الشاعر عزيزة علي سعيد[45].ويقول الفيتوري متحدثا عن نفسه : أنا حصيلة دماء مختلطة ولعلي لست وحدي في ذلك ولقد رضعت من أثداء مختلطة لذلك لم يكن بإمكاني أن أكون غير ما أنا عليه ولم يكن لشعري أن يكون غير الذي أبوح به»[46].

شعر الفيتوري في السنوات الوسيطة من القرن العشرين قد سكن كله في هموم القارة الأفريقية» [47]

لقد أراد الفيتوري أن يكون محاميا لقارته السوداء وناطقا باسم الأفارقة العرب الذين يشكللون ثلثي السكان

في الوطن العربي فعبر في دواوينه الثلاث الأولى « الأعمال الأفريقية « أحسن تعبير وكسب القضية بفضل الذي أتبعه وهو العنف والقسوة والحقد والتزمت والانفعال والكراهية والبغض والنغمة ضد كل من هو مستعمر مستبد وطاغية « [48]وهو شديد الإحساس بتفوقه الشعري وقدرته على الأداء وبالحركة والصوت المرتجف والإتكاء على طرف المنبر بيمينه لكي يطلق نظره ثم صوته بكلماته الراجف المتوترة[49]

مؤلفات الفيتوري الشعرية ضمّها كتاب بعنوان الأعمال الشعرية للشاعر محمد الفيتوري صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب جاء في ثلاث مجلدات كل مجلد أحتوى على أربعة دواوين وأحتوى كل ديوان على تقدمة نقدية قيمة لكبار النقاد الذين عاصروا شاعرنا فالمجلد الأول من الأعمال الشعرية موسوم بالأعمال الأفريقية جاءت فيه الدواوين الآتية:1- أغاني أفريقيا2-عاشق من أفريقيا3- اذكريني يا أفريقيا4- سقوط دبشليم.

في أواسط الخمسينات من القرن الماضي أدرجت المناهج المدرسية المصرية قصيدة له تضمنت صورا إنسانية بالغة الجدة وهي قصيدة بعنوان تحت الأمطار(50).

أيها السائق رفقا بالخيول المتعبة
قف فقد أدمى حديد السرج لحم الرغبة
قف فإن الدرب في ناظرة الخيل أشتبه[51]

إذن الفيتوري مجرد إنسان مجرد شاعر عاشق للحرية كاره للطغيان ناقم على العبودية مستعدا أبدا لأن يدفع الثمن ــ مهما غلا الثمن ــ الذي يطلبه منه الدفاع عن موقفه ومبادئه» [52] وهو الذي أمضى عمره متنقلا بين جنينة سودانية وخيمة ليبية وحديقة بيروتية ثم في مستقره الآخير الرباط رقد حيث أراد في المكان الذي اختار برغم أنه قال: لا تحفروا لي قبرا فإني سارقد في كل شبر من الأرض»[53]

أشكال الخطاب الثوري:

لقد جاء الخطاب الثائر لمحمد مفتاح الفيتوري في أفريقياته متبايناً في اللغة والمضمون عميقاً في بعضه ومباشراً وصريحاً في بعضه الآخر، إلا إنه يصُب في معنى الثورة سواء كان بالدعوة إليها صراحة أو بتمجيد أبطالها أو بعكس معاناة الشعوب مما يدعوهم للثورة ونجده كذلك يناهض العنصرية ،ويوجه خطابا ساخراً لمن يرضون بالخضوع والظلم وغير ذلك من صور الخطاب الثوري التي سوف نتناولها محددين أنماطها وأساليبها :

أولا : خطاب يدعو للثورة:

محمد مفتاح الفيتوري يدعو للثورة ضد الظلم والظالم وكانت أفريقيا عنده نموذجاً للإنسان المظلوم المقهور لذلك نجده يدعو أفريقيا جهرا وصراحة للتمرد ،وهي دعوة تشمل أيضا تمرد الشاعر وتضامنه مع بني وطنه الأفريقي ضد كل ظالم ففي قصيدة ا»لبعث الأفريقي» يقول:

أفريقيا
أفريقيا استيقظي
استيقظي من حلمك الأسود
قد طالما نمت .. ألم تسامي؟
ألم تملي قدم السّيدِ؟ [54]

الفيتوري يصرُّ على أن أفريقيا هي نموذج المظلوم عنده والتي تكالبت عليها المظالم والتي مكثت في العبودية رزحاً من الزمن وهو يدعوها بأن تصحو من ثباتها ويصور رضوخ القارة السمراء ومعاناتها وذلها بسؤال إستنكاري ألم تملي قدم السيدِ؟ وقدم السيد رمزاً وعلامة للذل والهوان والخضوع فأفريقيا طالت تحت وطئت الظلم لياليها فيهتف الفيتوري ثائرا بصيغة الأمر « استيقظي» ثم يأتي بصيغة أخرى للأمر وهي المضارع المقرون بلام الأمر في مقطع آخر من النص يقول:

لتنتفض جثة تاريخنا
ولينتصب تمثال أحقادنا
آن لهذا الأسود المنزوي
المتواري تحت عيون السنا
آن له أن يتحدى الورى [55]

كثيراً ما نرى الفيتوري يدعو بوضوح أمته ووطنه الأفريقي للثورة والانتفاضة ضد المستعمر الأبيض ويستخدم عدد من صيغ الخطاب الانفعالي الثائر مثل التكرار والأمر «أفريقيا أفريقيا « فهو يطلب من أفريقيا شعبا أن تسمع صراخ نداه وتستجيب لدعوة التحرر وكسر قيود العبودية والاستعمار يقول:

أفريقيا
أفريقيا النائية
يا وطني يا أرض اجداديه
إنّي أناديك
ألم تسمعي صراخ آلامي وأحقاديه
إنّي أناديك
أنادي دمي فيك
أنادي أمتي العارية
إنّي أنادي الأوجه البالية [56]

فالخطاب الثوري والداعي للثورة نجد فيه حشد للأسلوب الإنشائي مثل الأمر والأستفهام الإنكاري الذي يشير على رفض الواقع كما نجد أسلوب النداء كثيرا في هذا الخطاب فمرّة يكون بحرف النداء» يا وطني يا أرض أجداديه»ومرّة أخرى بالتصريح بالفعل الندائي « أنادي» في قوله:» إني أناديك أنادي دمي فيك» وهذا النداء كما راينا يخاطب به الفيتوري الشعب الأفريقي عامة وبصيغة الجمع ولم يذكر الشعب حقيقة حيث انزاح عن ذلك بالمجاز حين اطلق محل الشعب كلمة «أفريقيا» ويخاطب ذات الشعب بصيغة المفرد في تنوع أسلوبي حيث يقول في قصيدة» مأساة الإنسان الآخر» وباستخدام أسلوب النهي :

لا تضعف
إن الضعف يميت القلب
لا تسقط
لا تلقِ سلاحك..

احرق في الظلمات وشاحك
احمل نارك في كبرٍ.. يا إنسان العصر
ضع أقنعة الآلهة على وجهك
وتحد القهر.. [57]

فالشعب متى كان ضعيفا صنع الطغاة والظالمين فمن صنع شخصية فرعون وقيصر بل وكل دكتاتور أمتلأت به صفحات التاريخ هو ضعف الشعوب واستسلامها و لا يعود ذلك لقدرات خارقة تميزت بها هذه الشخصيات حتى جعلت بعضهم يدعي الألوهية [58].

مازال شاعرنا الفيتوري يدعو الشعب الأسمر للثورة ويستنهض الهمم ومن أجل النور والتحرر والعزة والتاريخ حتى تنكشف الظلمات فقد طال الظلم الذي خيم على الأفريقي الذي لبس الظلم كفناً ففي خطاب انزياحي جعل التاريخ ينحني للثورة دلالة على النصر والفخر فيقدم الفيتوري جواب الشرط على فعل الشرط دلالة على عدم الرضى من الشعب إن لم يثُرْ وينتصر يقول في قصيدة «أنا زنجي»:

لستم ببنينا إن لم يجل الغاصب عنها مدحورا
إن لم تخلع أكفان الظلمة..
إن لم تتفجر نورا..
إن لم يرتفع العلم الأسود.ا[59]

ويحتفي محمد الفيتوري بانطلاق هذه الثورة التي دعا لها ويمجد الثورة ويباركها باستخدام فعل الماضي» انتفضت ـ تفجرت ـ طهرت ــ»في قصيدة «رسالة إلى الخرطوم»:

قالوا انتفضت..
ومذقت عنك سود البراقع
قالوا تفحرت أفقاً
من السيوف القواطع
قالوا وطهرت نعليك
من جلود الضفادع
قالوا ومازلت تبني
العلا وتبني الروائع[60]

و نرى الفيتوري بعد أن دعا للثورة وأحتفى بانطلاقها يتذوق طعم النصر ويحتفي بالثورة بعد قطف ثمارها كما يتغنى في نص الحصاد الأفريقي :

أصبح الصبح وها نحن على البعد التقينا
التقى جيل البطولات بجيل التضحيات
التقى كل شهيد قهر الظلم... ومات
بشهيد لم يزل يسقي بذور الذكريات
أبدا ما هنت يا أفريقيا يوما علينا [61]

فالنص يحتفي بالنصر الذي عبر عنه دلاليا بالصبح فأفريقيا التقت كل أقطارها وتوحدت ونالت استقلالها من المستعمر المستبد بعد أن استلهم الجيل الحاضر الكفاح والنضال من من جيل الشهداء الذين سقوا الأرض بالدماء تأكيدا على أن نضالات الشهداء لم تذهب سدى ومن هنا نقول إن الفيتوري دعا للثورة صراحة وطال نداه لشعبه لرفض الظلم واستنهاض الهمم وفي إطار ذلك نجده يرفع من شأن الثورة ويحتفي بها فكان خطاب خطاب الدعوة للثورة أوّل أشكال الخطاب الثوري عند الفيتوري.

ثانيا:خطاب مناهضة العنصرية:

دفع الوعي المجتمعي الشعراءَ للوقوف في وجه صور التفرقة والظلم الذي يكون على أساس الطبقة أو الجنس أو اللون وكان من أسباب الثورة الآحساس بالظلم الاجتماعي أو السياسي لذلك نجد الفيتوري في أفريقياته يدافع عن أفريقيا وإنسانها بسحنته السمراء والسوداء التي واجهت اضطهاد من الأبيض المستعمر في جميع أقطار أفريقيا في حقبة الاستعمار الأروبي والامريكي على أفريقيا فيثور الفيتوري من أجل المساواة من أجل الأرض والهوية واللون فجاءت عدد من نصوصه ملتهبة مناهضة لأنواع العنصرية والاستعمار الذي نشأة على أساس اللون ففي قصيدة « إلى وجهٌ أبيض» يقول:

ألئن وجهي أسودٌ
ولئن وجهك أبيض
سميتني عبدا
ووطئت إنسانيتي
وحقرت روحانيتي
فصنعت لي قيدا
وشربت كرمي ظالما
وأكلت بقلي ناغما
وتركت لي الحقدا[62]

النص ثائرٌ يحتشد بأفعال الماضي وهي أحداث قام بها المستعمر فقد انتهك الإنسانية وحقر الشعب وسرق خيرات البلاد ونهبها كما قيد حرية الشعب وكل ذلك على أساس عرقي واثني فقد نصب المستعمر نفسه سيدا على أساس لونه وكان ذلك سبب لثورة الشاعر فقد أورد الأبيات كتمهيد لما فعله المستعمر في البلاد فكان ذلك سبباً في ثورة أفريقيا يقول :(الفيتوري ، 1998) :

ولبست ما نسجت خيوط مغازلي
وكسوتني التنهيد والكدا
وسكنت جنات الفراديس
التي بيدي نحت صخورها الصلدا
وأنا ..كم استلقيت في كوخ الدجى
أتلفح الظلمات والبردا [63]

في مقابلة ومفارقة واضحة يوضح حال المستعمر وحال الشعب الأفريقي الذي ينسج ويغزل والمستعمر» يلبس» الشعب يبني وينحت والمستعمر» يسكن» وينفي عنه أي أمتياز سوى أن لونه أبيض

فالفيتوري يناهض كل ذلك التمييز القائم على أساس العنصرية واللونية وتفضيل الأبيض على الأسود مع التأكيد على أنه ليس هناك فرق بينهما من حيث الإنسانية فيقول ثائرا لكن ذلك الظلم:

لا يا أخي؟
إن التهاب مشاعري هيهات بعد اليوم إن يهدأ
هيهات
لم اخلق عليها بومة
تقتات بالديدان أو قردا
أنا كائن أمي وأمك طينة
والنور ليس لأينا جدا
فإلام تحرمني حقوقي؟[64]

يرمز الشاعر بالنور للملائكة وينفي عنه وعن المستعمر الانتماء للملائكة في تأكيد على المساواة ويثور من أجل حقوق الشعب المشروعة فالشعب الأفريقي الأسمر له إراد وحقوق ويجرد الشعب الأسمر من صفات عدم المبالاة والسكن في الخراب والأنقاض والفوضى وغيرها من الصفات اللصيقة بـــ»البوم والقرود».

محمد الفيتوري كما هو واضح ضد العنصرية والعبودية ويرى أن زمن العبد والسيّد أصبح من الماضي ففي نص بعنوان» أغاني أفريقيا «يثور ضد هذه الثنائية «العبد والسيد» ويرفضها يقول :

جبهة العبد ونعل السيد
وأنين الأسود المضطهد
تلك مأساة قرون غبرت
لم أعد أقبلها.. لم أعد
كيف يستعبد أرضي أبيض
كيف يستعبد أمسي وغدي؟[65]

فنعل السيد علامة على الذل والهوان والعبودية التي جسمت على صدور الشعب وفي استفهام رافض يكرر الفيتوري رفضه «لم اعد اقبلها لم اعد « باستخدام أداة جزم ونفي كما يتجلى الاستفهام الإنكاري بوضوح في السطر الخامس .

إن الزنوجة واللونية التي يرفضها المستعمر ويعمل على اضطهادها وسلبها حقوقها يثور الفيتوري من أجل تثبيت كينونتها وإنسانيتها وتأكيد استغلالها وحقها في المساواة يقول في نص أغاني أفريقيا :

أنا زنجي
وأفريقيتي لي لا للأجنبي المعتدي
أنا فلاح ولي أرض
التي شربت تربتها من جسدي
أنا إنسان ولي حريتي [66]

أصرار الفيتوري على لونيته والاحتفاء بها وعدم نكرانه لها يبدو واضح كما يطلب من الشعب الأفريقي أن يثور من أجل ذاته ولونه كما إن السواد لم يكن يوما دلالة نقص أو مدعاة للاضطهاد نراه يقول في» نص أنا زنجي»

قلها لا تجبن لا تجبن
قلها في وجه البشرية
أنا زنجي..
وأبي زنجي الجد
وأمي زنجية
أنا أسود
أسود لكني حرٌ امتلك الحرية [67]

إذن كانت نبرة الرفض للعنصرية والطبيقية عند الفيتوري شكلٌ من أشكال الثورة فهو يرفضها من جهة ويطالب بثورة على كل من يتخذ اللونية علامة للتمييز والتفرقة.

ثالثا: الخطاب الذي يعكس معاناة الشعب:

من صور وأشكال الخطاب الثوري خطاب يسلط الضوء على ما تعانيه الشعوب الأفريقية وتعرية مظاهر الظلم المستتر الذي يمارسه المستعمر ضد القارة السمراء هذا الخطاب الفاضح لممارسات المستعمر يدعو الشعوب للثورة ومحاولة رفع الظلم عنها فنجد في هذا الخطاب تصويراً لمظاهر الظلم التي تعرض لها الشعب الأفريقي مثال ذلك ما نجده في نص» حدث في أرض» يقول الفيتوري:

ذات يوم لم يزل يثقل بالنغمة أرواح جدودي
ذات يوم لم يزل يزحم أيام وجودي
وقفت أرضي ترنو للمقادير حزينة
وقفت كامرأة تنسج أكفان السكينة [68]

هنا الشاعر يصور لحظة دخول الاستعمار أفريقيا حينها وقفت أفريقيا بكل خضوع واستسلام للقدر في إطراق ومهانة يقول الفيتوري:

ورأت في نظرة واحدة.. أو نظرتين
نظرة خاينة صفراء ذات أجنحة
سفنا تزحم أعماق البحار النازحة
سفنا تغدو وأخرى رائحة
سفناً مكتظة بالأسلحة
وبأبناء بلادي
وبخيرات بلادي
وبتاريخ بلادي [69]

يسجل الفيتوري المأساة على لسان هذه الأرض المذلولة المهانة التي شبهها بامرأة وقفت وشاهدت دون مقاومة غير إن نظرتها توحي بشيء من الحقد الحزين الذي يستنكر فعل المغتصب للأرض والوطن والحريات وتاريخ البلاد، فالشعب يقف ويشاهد القهر والظلم ويرضى بالقدر الذي كتبه المستبد الطاغية :

ورأت كيف يدوس الطاغية
فوق أبناء بلادي
ورأت في نظرة واحد أو نظرتين
كلمة يكتبها الأبيض في ليل بلادي
يا بلادي[70]

هذه الأحداث لعلها لم توقظ هذا الشعب من ثباته ونومه فالأحزان أضعفت قواه فالشعب أصبح يكتفي بالمشاهدة العاجزة ويتجرع المآسي فالشعب أسير الخوف والسجن والظلم والتحرر من الاستعباد لا يكون إلا بالتحرر من الخوف يقول:

ولأن الضعف سجنٌ
ولأن الخوف سجنٌ
ولأن الماضي سجنٌ
بقيت أفريقيا مستعبدة
تنقب السجن إلى سجن جديد [71]

وفي تعادل تركيبي يستخدم الفعل الماضي بتكرار صيغته يعدد الفيتوري في قصيدة «عصر الميلاد» صور الظلم وكل المعاناة التي من شأنها أن توقظ الشعب من ثباته وانتفاضته ضد المستعمر الذي تخطى الحدود يقول الفيتوري :

أتلقى عنك أعداءك أعداء كفاحي
الذين اغتصبوا أرضك مرة
حملوا عارك زهرة
عبثت أقدامهم في دماءك
رقصوا فوق رفاتك
شوّهوا تاريخك العالي
أغرقوه بالدماء
سرقوا أثمن ما يحمله صدرك يا أم بلادي
سرقوا تاجك ثم اضطهدوك
سرقوا سيفك ثم اغتصبوك [72]

كل هذا الظلم الذي عمل على هدم قيم أفريقيا ثم بناء كل صنوف الظلم في المقابل كان بمثابة دافع للثورة وسبب من أسبابها لذلك نجد الفيتوري يقول في ذات النص :

فلقد كنت الملايين التي ليست تموت
الملايين التي يولد في أحشائها
اليوم ...وغد
والتي قوتها ليست تحد
والتي تولد في كل صباح من جديد
في ملايين المهود [73]

فالنضال الأفريقي كان قويا بقدر الظلم الذي عانت منه القارة في كل مهودها ولعله يقصد أقطارها ودولها التي كثيرا ما عانت من وطأة الاستعمار في السودان وفي الجزائر والكنغو وتونس ومصر وجنوب أفريقيا فكل هذه البلاد تعتبر مهد النضال ووقفت في وجه الظلم والقهر الذي كان أكبر مغذي للثورة فنجد الفيتوري في خاتمة أي نص بعد أن صور المعاناة يصل لنتيجة الثورة كما في خاتمة قصيدة «حدث في أرض» يقول:

ولئن الموت عبد
ولئن الظلم عبد
ولئن الحر عبد في بلاد مستغلة
ولئن القدر السيد عبد يتأله
والنبؤات مظلة
هب من كل ضريح في بلادي
كل ميت مندثر
كل روح منكسر
ناقما على البشر
كل أعداء البشر
كافرا بالسماء والقضاء والقدر[74]

فالفيتوري يصور الشعب بعد هذه المعاناة ثائرا على الآله (المستعمر) وهي ثورة تغيير القدر الذي كتبه الظالم. فقد بعثت المعاناة الروح في الموتى وجبرت كسور العجز وملأت القلوب قوة وحقدا على أعداء أفريقيا.

رابعا: خطاب يمجد المناضلين والأبطال:

من أشكال الخطاب الثوري عند الفيتوري تمجيد الأبطال وتخليد ذكراهم لما في ذلك من قيمة معنوية ووقود للجيل الثائر فنجد في أفريقيات الفيتوري عدد من النصوص التي أحتفي فيها بالمناضلين ففي قصيدته بعنوان إلى ابن بيلا ورفاقه يقول :

سبع سنين وأياديكم تطرق باب التاريخ
تبني هرما للحرية
تبني بعظام الشهداء
بإرادة مليون ضحية
تنقش حكاية جيل من أمجاد
جيل يصحو وصباح البعث على الميعاد [75]

ذكرى الشهداء وتضحياتهم هي المحفز للجيل الذي ينقش في الصخر في دلالة على الثورة وتجشم الصعاب ورمز للشقاء والعذاب الذي يواجههُ هذا الجيل من أجل الحرية فالفيتوري يعظم ويقدس هذا الجيل الذي ينتمي لأفريقيا فابن بيلا المناضل الجزائري ورفاقه كانوا أول شعلة لألتهاب الثورة في القارة الأفريقية يقول الفيتوري:

إني احني رأسي كبرا
إني أخفضه في إكبار
فأنا أفريقيا
وجزائر ابن بيلا أفريقيا [76]

ومن ابرز رموز النضال الذين تغنى بهم الفيتوري السلطان تاج الدين سلطان دار مساليت الذي خاض ضد المستعمر الفرنسي معركة أسطورية «معركة دروتي» 1910م معركة واجه فيها ثوار دار مساليت مدافع المستعمر ورصاصهم بالسيوف والحراب في معركة دارت في غرب السودان كان فيها القائد تاج الدين نموذجٌ للكفاح والشجاعة فقد مجّد الفيتوري السلطان في قصيدة عنوانها « مقتل السلطان تاج الدين « الذي مات غدرا بعد أن هزم الجيش الفرنسي بقوته وعتاده وكثرة جنوده يقول : (الفيتوري ،1998م)

يا فارس
سرج جوادك ليس يلامس ظهر الارض
وحسامك مثل البيرق يخترق الظلمات
يا فارس
مثل الصقر إذا ما إنتفض
بيتك عالي الشرفات
نارك لا تخبؤ.. لا تسود
وجارك موفور العرض
يا فارس
حتى مات [77]

الفيتوري يتوّج السلطان تاج الدين بسيل من الصفات هي الشجاعة والاستعداد الدائم للحرب والكرم والمجد والوفاء والعزة وهي صفات تقليدية في الأدب القديم كما نجد من رموز النضال عند الفيتوري لومومبا أول رئيس لجمهورية الكنغو بعد نضال وثورة فالفيتوري يتغنى باسم هذا المناضل في نص ثوري ذو إيقاع يتسم بالقوة حيث يبدأ النص بالتشبيه يقول:

يا سيف بلادي الذهبي المدفون
المصلت فوق رقاب الجلادين
لن انتزعك من أعماقي
ابق مكانك
ابق مكانك [78]

فالفيتوري كما نرى يحتفي برموز النضال والثورة والمقاومة في مختلف أقطار القارة الأفريقيا فتجوّل بين الحزائر والسودان والكنغو وأحيانا نجده في غانا يتغنى باسم كوامي نكروما أيقونة النضال الغاني في قصيدة حملت عنوان « نكروما» يقول:

فإذا الشمس تدور....
وتلد الشمس...
وتلد الحريات
وإذا وجهك يا نكروما
يشرق في نور الثورات
نكروما يا صورة غانا
والكنغو الحر الموجات
وجهك يُوقظ فيّ الماضي
يُوقظ في الإحساسات [79]

فتمجيد النضال والأبطال يعتبر من أهم مقومات الخطاب الثوري فبجانب هؤلاء نجد للفيتوري قصائد لمانديلا وعبد الناصر والمناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد فقد أكثر الفيتوري من هذا الخطاب لما له قدرة قوية على تغذية روح الثورة.

خامسا: خطابه الاستفزازي الساخر:

الخطاب الثوري من ضمن أشكاله الضمنية غير الصريحة السخرية من الشعب الذي يرضى الذل والهوان فيخاطبه الفيتوري بسخرية في محاولة لاستفزاز مشاعره وإيقاظ همته وهذا النوع من الخطاب الثوري سريع المفعول قويُ الاستجابة من الجمهور في مقابل الخطاب المكشوف الذي يدعو للثورة صراحةٌ فالفيتوري في خطاب توبيخي استفزازي يخاطب أفريقيا بعد أن قتل المستعمر أبناءها واغتصب حرائرها وأرضها:

يا أميرتي السوداء
لو رأيت شاعراً يموت
جثته طريحة
وقلبه حمامة ذبيحة
فما الذي كنت ستصنعين؟
ما الذي كنتِ ستصنعين؟
تنزعين زينة العرس
وتلبسين زينة الحداد؟[80]

فالفيتوري لا يرضى من أفريقيا السكوت والصمت ويثور ساخراً منها فهي لم ترفع سلاح المقاومة بعد على حكام الاستعمار وتكتفي بالحداد لذلك ظلت قابعة في الظلم والضعف فنجده يصورها بأنها أصبحت واجهة لكل من احترف الاستبداد ورغِب في غنيمة المال والجواري وما ذلك إلا إن أفريقيا أصبحت لقمة

مستساغة لكل ظالم يقول:

متى أجد المال
كي أشتري حذاء وكلباً وثوباً جديد
وأمضي إلى أرض أفريقيا
لأصطاد قافلة من عبيد
فإني امرؤ أبيض كالثلوج
ولست عظيماً لأني فقير
وقد كان لي رفقة
ثم عادوا سراة عظاما[81]

فهذا الحديث بلسان المستعمر يسخر فيه من أفريقيا ويكشف عن وجه المستعمر الذي يسرق الأرض فأفريقيا تلك أصبحت لا تحتاج لجيش حتى يغزوها فكل أسلحة المستعمر حذاء وثوب وهذا الأسلحة علامة لضعف أفريقيا وذلها وهوانها.

أذن النبرة الساخرة جلية في هذا الأبيات التي يحاول بها الفيتوري الضرب في أوتار تهز كيان الشعب الأفريقي وينتفض ضد سارقيه وسالبيه كذلك في مقابل الخطاب الساخر نجد هناك خطاب متأمل متفائل بالحرية والنصر والنور من أجل أفريقيا وشعبها خطاب يرجو يقظة الشعب وسقوط الظلم يقول:

الفجر يدك جدار الظلمة
فاسمع ألحان النصر
هاهي ذي الظلمة تدّاعى
تسّاقط .. تهوى في زعر
ها هو ذا شعبي ينهض من إغماءته
عاري الصدر...
هاهي ذي أفريقيا الكبرى
تتألق في ضوء الفجر[82]

فالفيتوري في كل ثوراته في هذه النصوص التي تعددت أشكالها بين ثورة مجاهرة ومعلنة وأخرى متوارية بين الأسطر كان هدفه رفع الروح المعنوية لنيل الحرية لذلك هناك نصوص مفعمة بالتفاؤل والفرح ولا تخلو كذلك من صوت الثورة وهذه العاطفة المتفائلة نجدها في عدد من نصوص الفيتوري منها «رسالة إلى جميلة» ونص بعنوان» الطريق»

الخاتمة:

في هذه الورقة التي تناولت الخطاب الشعري الثوري لدى الشاعر الفيتوري والتي اتخذت من أعماله الأفريقية مدونه للدراسة درسنا مفهوم الخطاب عامة والخطاب الثوري على وجه الخصوص واستجلينا أشكال الخطاب الثوري عند الشاعر وتناولنا عدد من النماذج الشعرية وقد انتهينا إلى جملة من النتائج والتوصيات هي كالآتي:

1. الخطاب هو الميدان العام لمجموعة المنطوقات التي تختلف في صياغتها وتتفق في مضمونها ومجال اشتغالها باعتبارها نظام إشاري يتكون من عناصر كبرى وأخرى صغرى تشكل النصوص الخطابية.
2. يكمن الفرق بين الخطاب والنص كون الخطاب نظاماً وسلسلة كبرى يعد النص واحدا من فقراتها فضلا عن ارتباط الخطاب بعنصر التواصل والمقامية والمشافهة .
3. الخطاب الثوري عند الفيتوري لم يكن بالمعنى الهتافي والثورة ضد الحكام فحسب بل كان أوسع فهي ثورة ضد الطبقية والعنصرية .
4. تباينت مظاهر وخطابات الثورة وأشكالها في أفريقيات الفيتوري فجاءت خمسة خطابات (دعوة للثورة – كشف معاناة الشعب – تمجيد الأبطال – خطاب استفزازي).
5. كانت دائرة الخطاب الشعري الثوري عند الفيتوري متسعة حيث شملت بلاداً أفريقية عربية مثل: الجزائر وليبيا وبلاداً غير عربية مثل: االكنغو وجنوب أفريقيا.
6. هدف شعر الفيتوري الثوري إلى رفع الوعي المجتمعي للشعوب الأفريقية لمناهضة الاستبداد والاستعمار وكافة أنواع الظلم.
7. اتسم الخطاب الشعري الثوري عند الفيتوري بخصائص أسلوبية متنوعة منها استخدامه للجمل الندائية والطلبية كما وظف الصور الرمزية الإيحائية في تجسيد المعاني «فالسجن» و»الظلم» و»الاغلال» تجسد معنى الظلم والعبودية و»الصبح « يجسد معنى الحرية والاستغلال.

التوصيات:

1. نوصي بدراسة شعر الفيتوري بمختلف خطاباته السياسية و الاجتماعية والوجدانية وفق المناهج النقدية الحديث.
2. اختيار قصائد مختارة من شعر الفيتوري الثوري لتكون في مقررات في مقررات مناهج التعليم العام ليكون لها التأثير في صنع الأجيال الرافضة للظلم بمختلف صوره.
3. تمجيد الأبطال المناضلين في قارة أفريقيا باستحضار أشعار الفيتوري الثورية التي خلدت أسماء هؤلاء الأبطال.
4. الوعي بالروابط التاريخية التي تضم شعوب أفريقيا تأثراً في هذا بأشعار الفيتوري الثورية التي جاءت مخاطبة لتلك الشعوب على اختلافها.
5. أن يدرس الباحثون شاعراً آخر يتسم بالشعر الثوري مثل أبي القاسم الشابي لإجراء المقابلة التحليلية مع شعر الفيتوري الثوري.

الهوامش:

(1) محمد بن منظور ،لسان العرب ،دار إحياء التراث العربي ،ط2 بيروت، مادة «خطب ص 548.

(2) الزمخشري، أساس البلاغة ،تح مزيد نعيم وشوقي المعرى ،مكتبة لبنان، ناشرون ط1 مادة خطب.

(3) الكفوي ،الكليات القسم الثالث ،تحقيق عدنان درويش و محمد المصري منشورات وزارة الثقافة دمشق ،1982م،ص286.

(4) مجدي وهبة ،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،ص90.

(5) إلياس انطون إلياس، قاموس إلياس العصري، دار الخليل بيروت،1972م ص191.

(6) بشير ابرير ،والشريف بوشحدان، مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية، عناية، الجزائر، ص111_112.

(7) نور الدين السد ،الإسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي ،دار هومة،ص23.

(8) سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الروائي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ط1، 1997م، ص 17.

(9) ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تح: سالم يقوت ،المركز الثقافي العربي الدار، البيضاء المغرب 1968م.ص 78.

(10) نور الدين السد ،الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي ،دار هومة ،ص 86.

(11) نايف خرما ،أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، العدد9 الكويت، 1978م،ص285.

(12) محمد عابد الجابري ،الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، دار الطليعة، بيروت،1982 ، ص 9.

(13) عبد الله الغذامي ،الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية،ص 31.

(14) مالك المطلبي ،نشؤ صحيفة الجمهورية ،العدد5994 لسنة 1986، ص7.

(15) عبد الواسع الحميري ،ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع،ص 116.

(16) جبران مسعود ، معجم الرائد، طبعة بيروت ،ص1505.

(17) منذر عياشي ، الأسلوبية وتحليل الخطاب،مركز الإنماء الحضاري، 2002م، ص124.

(18) منذر عياشي ، الأسلوبية وتحليل الخطاب،مركز الإنماء الحضاري، 2002م، ص 122.

(19) عبد الواسع الحميري ، ما الخطاب وكيف نحلله، مرجع سابق، ص12.

(20) روبرت دي برجداند ،النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان عالم الكتب، ط1، 1998م،ص6.

(21) مختار الفجاري ،مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم، العدد3، 1435ه، ص 535.

(22) محمد عابد الجابري ، الخطاب العربي المعاصر،مرجع سابق ، ص9.

(23) أحمد مداس ، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2009م، ص12.

(24) عبد الملك مرتاض نظرية النص الأدبي، مرجع سابق ،ص 13.

(25) بشير ابرير والشريف بوشحدان ،مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية، عناية، الجزائر، ص112.

(26) أحمد شويحط ،فض الشراكة المفاهيمية بين النص والخطاب ،مجلة دراسات للعلوم الاجتماعية والإنسانية ،العدد43، 2016م 1806.

(27) ميشال فوكو، مسيرة فلسفية، مركز الإنماء القومي، بيروت ص50.
(28) نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب ، مباحث في التأسيس والإجراء ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2012م، ص 21-20.
(29) منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا ، 2002م، ص142.
(30) وردة معلم ، محاضرات في مقياس تحليل الخطاب ، جامعة 08 ماي 45 كلية الآداب واللغات 2016م، ص 91.
(31) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر، تر: محمد عبد المنعم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، صذ53.
(32) حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان، 1994، ص83.
(33) جمال الدين بن منظور ، لسان العرب ' مرجع سابق ،مادة «ثور» ص 53_54.
(34) ماكسيمون، الثورة المضادة في الاتحاد السوفيتي، تر مازن كم المار، مجلة الطليعة ، العدد 11، 1935م، ص61.
(35) عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية، المؤسسة للدراسات والنشر، ج 1، بيروت لبنان، 1979م، ص870.
(36) سعيد سراج، الرأي العام، مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1986م، ص247.
(37) عزمي بشارة ، في الثورة والقابلية للثورة، مرجع سابق، ص27.
(38) أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ،1979، ص14.
(39) طه حسين ، خصام ونقد، مؤسسة هنداوي ، مصر،2012م، ص93.
(40) المرجع نفسه ، ص94
(41) إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب ، الجزائر ،1985م، ص37.
(42) بلقاسم عبد الله ، دراسات في الأدب والثورة، ط 1 ، دار هومة الجزائر،2001م، ص176.
(43) محمد الفيتوري، بقلم منيف موسى, مقدمة المجلد الثاني للأعمال الشعرية , ص 6
(44) المرجع نفسه ص 8
(45) المرجع نفسه ,ص 7
(46) نجيب صالح ، الفيتوري والمرايا الدائرية،ص 219
(47) جمال محمد إبراهيم، الفيتوري آخيرا رقد في الوجدان، مجلة الدراسات السودانية، العدد 57، 2015، ص33
(48) نجيب صالح، الفيتوري والمرايا الدائرية،الدار العربية للموسوعات،بيروت ،لبنان ،1984م، ص16
(49) كتابات سودانية: كتاب غير دوري يصدر عن مركز الدراسات السودانية، العدد 57،أكتوبر 2015م ،ص7
(50) جمال محمد إبراهيم ،الفيتوري آخيرا رقد في الوجدان،مرجع سابق،ص 33
(51) محمد الفيتوري، الأعمال الشعرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، م1، 1998م، ص 170
(52) نجيب صالح، الفيتوري والمرايا الدائرية، ص133

(53) كتابات سودانية: كتاب غير دوري يصدر عن مركز الدراسات السودانية، العدد 57،أكتوبر 2015م ،ص 36
(54) محمد الفيتوري، الأعمال الشعرية، م1،مرجع سابق،ص70
(55) محمد الفيتوري، الأعمال الشعرية، مرجع سابق، ص 73
(56) المرجع نفسه،ص 73
(57) محمد الفيتوري، الأعمال الشعرية، مرجع سابق، ص ص 246
(58) عبد الكريم آمين ،الشعر الثوري دراسة ثقافية» ديوان كرسل أتوا» لمحمد سليمان نمودجا ص123
(59) محمد الفيتوري، الأعمال الشعرية، مرجع سابق، ص 86
(60) المرجع نفسه، ص 310
(61) المرجع نفسه ،ص 263
(62) المرجع نفسه ،، ص 88
(63) المرجع نفسه، ص 89
(64) المرجع نفسه ، ص 90
(65) المرجع نفسه، ص 82
(66) المرجع نفسه ، ص 83
(67) المرجع نفسه، ص85
(68) المرجع نفسه ، ص 106
(69) المرجع نفسه ، ص 107
(70) المرجع نفسه ،ص 108
(71) المرجع نفسه ،ص 109
(72) المرجع نفسه ،ص 193
(73) المرجع نفسه ،ص 194
(74) المرجع نفسه ، ص 110
(75) المرجع نفسه،ص 205
(76) المرجع نفسه ،ص 216
(77) المرجع نفسه ، ص 348
(78) المرجع نفسه ،ص 195
(97) المرجع نفسه ،ص 203
(80) المرجع نفسه، ص 285
(81) المرجع نفسه ،ص 93
(82) المرجع نفسه ، ص 87